المحاضرة الثالثة:الأسلوبية البنائية

تمهيد:

ظهرت الأسلوبية البنوية أو البنائية في سنوات الستين من القرن العشرين، مع أعمال كل من رومان جاكبسون، وتودوروف، ورولان بارث، جون كوهن، جوليا كريستيفا، وأهمهم ميشال ريفارتير.

والأسلوبية البنائية تعود في بدايتها إلى المدرسة الشكلانية وحلقة براغ، الذين ركزوا على الوظيفة في اللغة، لذا سميت بالأسلوبية الوظيفية، وحتى مصطلح البنية لم يظهر مع دي سوسير؛ وإنما مع من جاؤوا بعده؛ «فمذ اتكأت البحوث الحديثة على مصطلح البنية، واكتشف به التنظيم الداخلي للوحدات، وطبيعة علاقاتها وتفاعلها؛ لذا لم يعد من الممكن التخلي عنه في الفكر الحديث»[1]

وقد ركز دي سوسير في محاضراته على اللغة بوصفها نظاما مستقلا تحكمه مجموعة من العلاقات الداخلية، والألسنية البنوية هي مجموعة أبحاث تنهض على فرضية مفادها إنه لمن المشروع علميا وصف اللغة بأنها قبل كل شيء ماهية مستقلة مكونة من ارتباطات داخلية، وبمعنى آخر أنها بنية"[2]"

---

[1]– بداش حنيفة، الأسلوبية الوظيفية وموقعها من كتاب البيان في روائع القرآن لتمام حسان، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، 2008، ص 52.

[2]– عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنوي في نقد الشعر العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مدينة نصر – مصر–، 1431هـ/2001م، ص 37.

فالبنية هي نسق من العلاقات الباطنية، تحكمه قوانين معينة، ويتميز هذا النسق بالانتظام الذاتي، فأي تغير في تلك العلاقات يؤدي إلى تغير النسق بأكمله. لذا فمهمة الباحث هي الكشف عن هذه العلاقات القائمة من حيث التداخل والترابط والمكونة للنسق[3]. وهذه هي جوهر اللسانيات البنوية؛ التي ألغت السياق، لأن سلطة البنية يهيمن عليها النسق، وبالتالي الاهتمام بما هو داخل النص، وإهمال ماهو خارجه.

ومن هذا التصور انطلق ريفارتير في تحديد الأسلوبية البنوية، فهو ارتكز على ما قدمه دي سوسير من خلال الثنائيات، وعلى الوظيفية التي جاءت بها حلقة براغ والشكلانيين الروس هذا من جهة، ومن جهة أخرى رفضه لفكرة شارل بالي في دراسته للكلام المنطوق، وانتقد ما ذهب إليه: «أن أسلوبية بالي تعمل بلغة ذات قيم مجردة، بينما حقيقة الأسلوب غير ذلك فهو يركز أساسا على السياق»"[4]" وكما رأينا سابقا فشارل بالي أولى اهتماما كبيرا بالتعبير بعيدا عن السياق والنسق اللغوي.

وعليه، يمكن توضيح الفرق بين مستوى اللغة ومستوى النص، وذلك من خلال دراسة النص بوصفه طاقة كامنة في اللغة بالقوة، يستطيع المؤلف استخراجها لتوجيهها إلى هدف معين، ودراسة الأسلوب الفعلي في ذاته"[5]" وهذا هو الهدف الرئيسي من التحليل اللغوي، فهو يحدد العناصر المكونة للنظام ويوضح العلاقات المتبادلة بينها.

---

[3]– محمود العشيري، الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة، ص 51. بتصرف.

[4]– معمر حجيج، استراتيجية الدرس الأسلوبي بين التأصيل والتنظير والتطبيق، ص 101.

[5]– احمد درويش: الأسلوب والأسلوبية مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه، ص 65.

يرى ريفارتير أنّ الأسلوبية البنوية تعنى بدراسة النص الادبي بمعزل عن كل ما يتجاوزه من اعتبارت تاريخية او اجتماعية أو نفسية، إذ أنّ العناصر الأساسية في عملية تحليل النص الأدبي هي النص والقارئ، أما الكاتب ومرجع النص فأمور هامشية"[6]". ولعل هذا ما عاب على الأسلوبية البنائية فهي أهملت المرجعية الفكرية والظروف الخارجية؛ التي ساعدت في إنجاز الخطاب. وبالتالي صعبت الأمر على القارئ في محاولة لفهم الخطاب. فالقارئ يمثل عنصرا مهما في عملية التواصل.

ومن خلال ما تم ذكره نستنتج أنّ الأسلوبية البنوية قامت على مجموعة من المفاهيم اللسانية نجملها فيما يأتي:

1- **البنية:** وهي كلّ يتكون من الشمولية (التماسك الداخلي للوحدة) والتحول (عملية توليد تنبع من داخل النسيج؛ أي البنية السطحية والعميقة)، والتحكم الذاتي (استغناء البنية بنفسها عن غيرها دون الاعتماد على العوامل الخارجية)"[7]"

2- **اللغة والكلام:** وهي في حقيقة الأمر ثلاث مظاهر للغة البشرية: لغة ولسان وكلام، فاللغة هي الملكة الإنسانية المتمثلة في تلك القدرات التي يمتلكها الإنسان، والتي تميزه عن غيره من الكائنات. أما اللسان فهو النسق التواصلي الذي يمتلكه كل فرد متكلم، مستمع مثالي ينتمي إلى مجتمع لغوي له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة. في

---

[6]- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق، ص 142. بتصرف

[7]- قدوسي نور الدين، محاضرات في الأسلوبية وتحليل الخطاب، جامعة أبي بكر بلقايد، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، ص 17. ببتصرف.

حين أنّ الكلام هو الإنجاز الفعلي للغة في الواقع. فهو يمثل الوسيلة العملية التي تعكس نمط هذا اللسان وتحققه في الواقع اللغوي"[8]".

3- التاريخية والآنية: ويقصد بها النسق الساني الآني؛ أي في حالة زمنية محددة، وتاريخ هذا النسق، وعليه فدي سوسير يميز بين منهجين في التعامل مع الظاهرة اللغوية: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي"[9]"

4- الدال والمدلول: العلامة اللسانية عند دي سوسير هي وحدة النسق، والمكونة من الصورة السمعية (Acoustic image) والمفهوم (Concept) وهو الفكرة المرتبطة بالصورة.

5- القيمة الخلافية: إنّ النظام اللغوي عند البنويين يتألف من عناصر داخلية وخارجية، والتي بدورها تنقسم إلى تركيبية واستبدالية. وهذه خاصية جوهرية في البنية، فدي سوسير وضع أسس اللغة البنيوية، وحدد محور اشتغالها: محور الأنساق (محور التراكيب)، ومحور الانتقاء (محور الاستبدال). وقد أفاد الأسلوبيون من هذه الرؤية واستخدموها في تحليلاتهم[10]

6- الوظائف اللغوية الست: وتتمثل في عناصر العملية التواصلية التي وضعها رومان جاكبسون وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والسياق، والسنن، والقناة.

7- الوحدات الصوتية المميزة: وهي وظيفة الفونيم داخل السياق، بمجرد استدال وحدة صوتية بأخرى يتغير المعنى.

---

[8]- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، ص 33 بتصرف.

[9]- نفسه، ص 32. بتصرف

[10]- عدنان حسين قاسم، الاتجاه الأسلوبي البنوي في نقد الشعر، ص 38.